المحاضرة السابعة

منهج الحنابلة ومؤسس مدرستهم واصولها

مؤسس المدرسة :

هو احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني المروزي ولد في بغداد عام ١٦٤ه وتوفي عام ٢٤١ه ، ونشأ في بغداد فحفظ كتاب الله تعالى ، وحفظ السنة ، وروى الحديث عن كثير من العلماء ، حتى صار امام المحدثين ، .

وكان للامام احمد بن حنبل كثير التلاميذ اخذوا العلم عنه ، وروى كثير من المحدثين الحديث عنه وبروايته كالبخاري ومسلم وابو داود وغيرهم .

قام الامام احمد برحلات في طلب العلم الى البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام واليمن مما زاد ذلك في علمه الكثير ، وتفقه في بغداد على يد الامام الشافعي ،ثم استقل عنه بالاجتهاد .

قال الشافعي في الامام احمد : (خرجت من بغداد وما خلفت فيها احدا اتقى ولا اورع ولا افقه ولا اعلم من احمد بن حنبل) .

وامتحن الامام احمد عام ٢٢٠ه فأريد منه القول بخلق القرآن ، فلم يقل بذلك فضرب وحبس ، واصر على ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، بل هو قديم كما ان علم الله قديم ، وبذلك كان من الثابتين على عقيدة اهل السنة .

وقيل عنه في ثباته على قول الحق في هذه الفتنة انه رجل هانت عليه نفسه في الله .

وقد اتهم بالحلول والتتجسيم وهو من من ذلك براء ، وهو ارفع دينا وارسخ ايمانا من اعتقاد التشبيه في ذات المولى سبحانه وتعالى .

ثانيا : اصول مذهبه :

واصول مذهب الامام احمد بن حنبل والذي يسمى بالمذهب الحنبلي قريبة من اصول المذاهب الاخرى وهي :

١ . القرآن الكريم

٢ . السنة النبوي ، والتي كان يحفظ منها الكثير

٣ . الاجماع دون ان يذكر ذلك صراحة ونعني به هنا اجماع الصحابة .

٤ . فتاوى الصحابة عند عدم وجود نص

٥ . اخذ بالحديث المرسل كما هو منهج الحنفية .

٦ . القياس ويأخذ به عند الضرورة .

٧ . انكر الاستحسان كما هو منهج الامام الشافعي.

٨ . قال بالاستصحاب ، وهو بقاء الحكم على ما كان سابقا عند عدم وجود ما يغيره .

٩. سد الذرائع ، وهو تحريم مباح ظاهر يتوصل به الى محظور ، كتحريم هدية المدين الى الدائن لانها ذريعة الربا .

وكان اعتماد الامام احمد في مذهبة على الحديث النبوي والاثر الذي يرد عن الصحابة رضي الله عنهم ، ولذلك عد الامام احمد من فقهاء المحدثين .

وفي المذهب الحنبلي من الثراء والفيض التشريعي ما لا يدركه الا من تعمق في كتب المذهب المعتمدة وخاصة كتب الامامان ابن تيمية وابن قيم الجوزي رحمهم الله جميعا .

وقد الف الامام احمد كتابه (المسند) الذي جمع فيه نحو اربعين الف حديث مروية عن سبعمائة صحابي ، وقد شرح هذا المسند من قبل تلاميذه ومن بعدهم وهو من الكتب المشهورة ، رغم ان الامام احمد كان يكره ان يكتب عنه ، ومن قوله في ذلك : (لا تكتب عني فإني اكره ان اكتب رأيي) .

وقد كتب بعض تلاميذه جزءا من مسائله في الفقه ، وكان ذلك سببا في اشتهار المذهب الحنبلي بين اهل الحديث واهل الفقه .

ثالثا : من اشهر تلاميذ الامام احمد بن حنبل :

ــ اسحاق بن منصور : ابو يعقوب اسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج المروزي ، اخذ العلم عن فقهاء العراق والشام والحجاز ، ثم جاء الى بغداد فتفقه بالامام احمد وغيره من العلماء في بغداد .

قال فيه الامام مسلم : ثقة مأمون ، وقال فيه النسائي : ثقة ثبت ، وقال فيه الخطيب البغدادي : هو الذي دون عن احمد بن حنبل المسائل في الفقه .

وكان يسافر من نيسابور الى بغداد ماشيا ليعرض المسائل على الامام احمد بن حنبل ، مات عام ٢٥١ه .

رابعا : انتشار المذهب الحنبلي :

اول ما انتشر المذهب الحنبلي في بغداد حيث نشأ الامام احمد بن حنبل ، ودرس ودرّس ، وروى الحديث ، لكن اتباع الامام احمد في ذلك الوقت كانوا قلة بسبب مزاحمة المذهب الحنفي الذي تبنته الدولة العباسية في الفتيا والقضاء .

كما ان بغداد ايام الامام احمد كانت ملتقى المذاهب ومعترك الاتجاهات الفقهية ، فلم يستطع المذهب الحنبلي ان يفرض نفسه في بغداد وسط تلك المذاهب المتنافسة ، لذلك ظهر في بغداد ظهورا محدودا رغم محاولة اتباعة نشره بشيء غير قليل من القوة .

وانتقل المذهب الحنبلي الى بعض البلاد المجاورة كالشام ومصر وخاصة في عهد الدولة الايوبية التي تبنت المذاهب الاربعة .

ثم كثر الحنبليون في الشام كثرة واضحة وخاصة في نابلس وحول دمشق فلا تكاد ترى في بعض المدن الا اتباع المذهب الحنبلي .

ولما ظهر الامام محمد بن عبد الوهاب في نجد اعتنق المذهب الحنبلي وتأسى بشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فنشر عيون كتب المذهب الحنبلي ، ودرس المذهب الحنبلي بكثرة في تلك الفترة ، وكان الافتاء والقضاء على هذا المذهب مما ساعد في انتشاره انتشارا واسعا عم الجزيرة العربية كلها تقريبا .

وربما واجه مذهب الامام احمد بن حنبل بعض الاندثار وقلة الاتباع في الماضي والحاضر ، ففي البلاد الاسلامية اتباع المذهب الحنفي والمذاهب الاخرى كالمالكية والشافعية مئات الملايين في حين ان اتباع المذهب الحنبلي اقل من ذلك ، ويعلل بعضهم ذلك بان المذهب الحنبلي يكان يكون مذهب حديثيا ، لخلوه من نزعة الاجتهاد الفقهي في بعض المسائل.

غير ان من يرجع الى كتب المذهب يجد ان المذهب الحنبلي كسائر المذاهب الفقهية فيه نزعة قوية الى الاجتهاد والاستنباط والقياس في الاحكام كما يظهر ذلك واضحا في كتاب المغني لابن قدامة المقدسي الحنبلي الذي يذكر فيه فقه الحنابلة وهو من اعظم كتب المذهب الحنبلي .

ان المذهب الحنبلي في ايامنا هذه منتشر في جميع البلاد الاسلامية ، ولا يكاد بلد من البلاد الاسلامية يخلو من مقلدي المذهب الحنبلي .